

إطالة أصوات المدّ الطويلة وصوتي اللين في الأداء القرآنيّ وعلم الأصوات

أ.م.د. صيوان خضير خلف
جامعة البصرة- كلية التربية -قسم اللغة العربية

المقدمة :

تتفاوت الأصوات اللغوية في مدّة النطق بها، فأصوات المدّ واللين، أطول من الأصوات الصامتة. وأصوات المدّ الطويلة (الياء، والألف، والواو) أطول من أصوات المدّ القصيرة (الكسرة، والفتحة، والضمة). فالمدّة الزمنية المستغرقة لإنتاج الصائت القصير تساوي (300CPS) مقاسة على جهاز (Spectrograph) وتضاعف في حال إنتاج الصائت الطويل أي (600 CPS)^١. وتتفاوت أصوات المدّ في طولها أيضاً. ف(حين قيست أصوات اللين [المدّ] وجد أنّ الفتحة أطول من الكسرة والضمة)^٢؛ لاتساع مخرج صوت الفتحة.

إنّ أصوات المدّ الطويلة أطول من صوتي اللين (الياء، الواو) ؛ لأنّ طرف اللسان مع الياء اللينة أكثر ارتفاعاً منه نحو الغار مع الياء المدّية، وكذلك أقصاه يكون أكثر ارتفاعاً منه نحو الطبق مع الواو المدّية ؛ ممّا يجعل مجرى الهواء أقلّ اتساعاً ممّا هو عليه مع المدّيتين.

إنّ صوتي اللين غير مدغمين أطول منهما مدغمين، (لأنّ المدّ يبقى مع التليين، ويذهب مع التشديد)^٣. وتتفاوت الأصوات الصامتة في طولها، أي مدّة النطق بها، فالصوتان الانفيان (النون، والميم) أطولها، يليهما الصوتان الجانبيان (اللام، والصاد القديم)، فالصوت المكرّر (الراء) فالأصوات الصفيريّة (الزاي، والصاد، والسين)، فالأصوات الاحتكاكية الأخرى وأخيراً الأصوات الانفجارية^٤، ولهذا التفاوت أسباب طبيعية في الصوت اللغويّ، فضلاً عن الأسباب المكتسبة منها : المجاورة، والنبر، والتنغيم، ونحو اللغة، وعدد المقاطع في الكلمة، والعوامل النفسية للناطق^٥.

إنّ طول الصوت قد يكون ملمحاً تمييزياً (Distinctive Feature) إطالة صوت الفتحة القصيرة الذي بعد الكاف في الفعل (كُتِبَ) يحوّل إلى صيغة أخرى (كاتب) لها دلالة غير الأولى والأغلب أنّ لا يكون طول الصوت ملمحاً تمييزياً.

1 الاصوات اللغوية، د.عبد القادر عبد الجليل : ٢٣٨

2 الاصوات اللغوية ، د. ابراهيم انيس : ١٠٤

3 من اعلام الدرس الصوتي في القرن الخامس الهجري عبد الوهاب بن محمد القرطبي، حقي عبد الرزاق الصالحي، مجلة

المورد، مج ٣٣، ٢٤، بغداد (٢٠٠٦) : ٧٨

4 الاصوات اللغوية ، د. ابراهيم انيس : ١٠٤

5 ينظر دراسة الصوت اللغوي : ١٩٩ - ٢٠٠ والاصوات اللغوية، د. ابراهيم انيس : ١٠٥، والتشكيل الصوتي في اللغة العربية :

١١٥، وفي الاصوات اللغوية، دراسة في اصوات المد العربية : ٤٠-٤١

إنَّ أصوات المدّ – بحكم طبيعة تكوينها – تكون عرضة للتغيير فقد تطول إلى أكثر من ضعف ممّا هي عليه، وقد تقصر إلى درجة الصفر (Zero). وظاهرة إطالة أصوات المدّ الطويلة، وصوتي اللين لم تلقَ من علماء الأصوات – باستثناء علماء التجويد – اهتماماً وإن مرّوا بها فمرور الكرام ؛ ولعلَّ سرّاً ذلك أنَّ هذه الظاهرة ليست لازمة في كلّ أشكال النطق العربيّ، وأنّ بعضها غير ملزم حتّى في تلاوة القرآن الكريم.

قدّر علماء التجويد أطوال أصوات المد الطويلة بتشكّلاتها المختلفة بالحركات، وبالألفات، ومثّلوا لذلك برفع الأصبع، وخفضها أو بزم من النطق بـ(ببّ أو تتّ) أو بزم من النطق بـ(واحد، اثنين) وغير ذلك من الوسائل^١، وقد بينه قسم من المعاصرين بالاعتماد على الأجهزة الحديثة فأتضح أنَّ طول الحركة نحو (٠.١٦) من الثانية والمدّ الطبيعي (٠.٣٢) من الثانية^٢، ولكنّ القضية ليست من الدقّة فقد تتباين مدّة نطق الصوت الواحد من ناطق لآخر. وسيُتضح لنا هذا التباين في بعض المواضع من هذا البحث الذي استثنى إطالة صوتي الفتحة القصيرة والضمة القصيرة بعد صوت الهاء في حالة الوصل، وهو ما يسمى بـ(مدّ الصلة) ؛ لأنّه يرى أنَّ هذا الطول نوع من إشباع الحركات، وليس من إطالة أصوات المدّ الطويلة..

إنَّ إطالة أصوات المدّ الطويلة، وصوتي اللين، أو الحفاظ على ما هي عليه من الطول ظاهرة صوتيّة لها مواضعها، وأسبابها المعنويّة واللفظيّة تناولها هذا البحث المتواضع الذي يرجو صاحبه أن ينال رضا الله سبحانه وتعالى: "وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا" (الإسراء : ٨٠).

إطالة أصوات المد الطويلة (الياء، والألف، والواو) لأسباب معنوية:

ينكوّن صوت المدّ الطويل (الياء) بارتفاع الجزء الأماميّ من اللسان نحو (الغار) بحيث لا يؤدّي هذا الارتفاع إلى أيّ احتكاك، أو انحباس للهواء الخارج من الرئتين، فيمرّ حرّاً طليقاً من دون أيّ عائق، وتتخذ الشفتان وضعاً منفرجاً، وفي تكوّن صوت الألف ينخفض اللسان إلى قاع الفم فيكون مستويّاً فيه مع ارتفاع قليل في أقصاه، ووضع اللسان هذا يسمح بمرور الهواء حرّاً طليقاً من دون أيّ حائل يسبب احتكاكه، أو انحباسه، وتتخذ الشفتان وضعاً محايداً، أمّا في صوت الواو فيرتفع الجزء الخلفيّ من اللسان نحو (الطبق) بحيث يكون هناك فراغ بينهما يسمح بمرور الهواء من دون أيّ إعاقة وتستدير الشفتان استدارة كاملة. وتمتاز هذه الأصوات بطولها أي إنّ مدّة النطق بها أطول من الأصوات اللغويّة كلّها، فضلاً عن وضوحها السمعيّ.

وهذا الطول يسمى (المدّ الطبيعي) ؛ إذ يأخذ به صوت المدّ حقّه في الأداء، ومدّته (٠.٣٢) من الثانية^٣. ولكنّ هذه الأصوات قد تطول أكثر من زمن نطقها الطبيعيّ لمعانٍ منها :

١. التعظيم:

ومثله إطالة صوت الألف في لفظ الجلالة في قولنا الله أكبر. ونلاحظ هنا أنَّ النبر يقع على المقطع الثاني من مقاطع لفظ الجلالة : أل / لا / هـ، وأنّ نواته (الألف) هي التي تجتذبه، ممّا يتطلّب دفع كمية كبيرة من هواء الرئتين فيزداد جهر الصوت، ووضوحه السمعيّ، وإطالته.

٢. المبالغة :

وقد تكون هذه المبالغة في النفي، ففي قوله تعالى (لا ريب فيه) [البقرة : ٢] فصوت الألف في كلمة (لا) النافية للجنس تطول مدّة نطقه أكثر من طوله الطبيعيّ لتعبر عن نفي الخبر عن كلّ جنس الاسم الواقع بعدها.

1 ينظر القول المألوف في المدود والوقوف : ٣٥-٣٦ وقواعد التجويد والالقاء الصوتي : ١١٩

2 مختصر في اصوات اللغة العربية دراسة نظرية وتطبيقية : ١٦٥

3 المختصر في اصوات اللغة العربية : ١٦٥

4 ينظر الاصوات اللغوية ، د. عبد القادر عبد الجليل : ٢٥١

ولا تقتصر المبالغة على النفي، وإنما يطول صوت المدّ الطويل للتعبير عن المبالغة في الصفات. فالناطق يطيل صوت المدّ الطويل (الياء) في لفظة (صغير) أو صوت المد الطويل (الواو) في لفظة (كفور) للمبالغة في هاتين الصفتين. ونلاحظ أنّ النبر يقع على المقطع الذي فيه صوت المدّ الطويل سواء في حال الوصل أو الوقف.

لا : مقطع منبور.

ص / غير : المقطع المنبور (غير) في الوقف.

ك / فور : المقطع المنبور (فور) في الوقف.

وكذا في حال الوصل.

ص / غي / رُن : المقطع / غي / هو المنبور.

ك / فو / رُن : المقطع / فو / هو المنبور.

ولا شكّ في أنّ النبر يتطلب دفع كمية كبيرة من هواء الرئتين، فيزداد جهر الصوت، ووضوحه السمعي، وإطالته.

٣. التذكّر :

ويكون في الوقف على ألف الاثنين، وواو الجماعة، وياء المخاطبة عند حذف المفعول به، أو الظرف، أو الحال، متذكراً إياها، مثل : أخواك ضربا، وهم ضربوا، واضربي. فإذا نُطقت هذه الأصوات من دون إطالة لم يوجد في الكلام دليل على أنّ الناطق متذكّر شيئاً، ولأبهم كلّ الإبهام أنّه قد أتمّ كلامه ولم يبقَ بعده مطلوب متوقع للمتلقى، ولكنه لو أطال هذه الأصوات أكثر من مدّها الطبيعيّ لدلّ ذلك على أنّه يتذكّر المفعول به، أو الظرف أو الحال. فالمعنى الذي تحمله الإطالة في الجملة الأولى :

أخواك ضربا زيدا، أو يوم الجمعة، أو قياماً، وما ينطبق على هذه الجملة ينطبق على الثانية والثالثة، فضلاً عن ذلك علم السامع أنّ المتكلم تطاول إلى كلام تال لأول منوط به معقود ما قبله على تضمّنه وخلطه بجملته، وأنّ هذه الإطالة تعني أنّه كالناطق بالاسم المستذكّر حتى صار كأنّه ملفوظ به^١. إنّ إطالة أصوات المدّ هنا تعني أنّ المقطع الأخير يحمل نبراً طويلاً. وهو مقطع مفتوح لا يقفل، لأنّ قفله يعني القطع وهو عكس معنى التذكّر.

٤. الندبة :

تطيل العرب الصامت الطويل (الألف) الذي يلحق الاسم المندوب عند الوقف في مثل : وا محمداً، وزيادة صوت المدّ الطويل (الألف) هنا لغرض الترتم، إذ إنّ الندبة تسلك مسلك التطريب^٢ إنّ المندوب لما كان مدعواً بحيث لا يسمع أتوا في أوله بـ (يا) أو (وا) وفي آخره بصوت المدّ الطويل (الألف) (ليكون بين صوتين مدين)^٣، قال الدكتور عليّ أبو المكارم (وجود الحركات الطويلة في الصيغة وفي اللاصقة ممّا يعطي المتكلم قدراً كبيراً من الحرية في رفع صوته في موضعين من التركيب اللغوي بحيث ينقل مشاعره إلى أكبر عدد من الحاضرين)^٤. ولكنّ العرب لمّا رأت أنّ صوت الألف عند الوقف عليه يضعف ويتضاءل ولم يف مدّه، وإذا وقع بين صوتين صامتين تمكّن ؛ اتبعته صوت الهاء توفية له، وتطاولاً في إطالته، فقالوا : وا محمداً^٥.

1 الخصائص : ١٣٠/٣ - ١٣١

2 شرح المفصل : ٣٥٨/١

3 اسرار العربية : ١٨٣

4 الظواهر اللغوية في التراث العربي : ١٨٨

5 الخصائص : ١٣١/٣

إنَّ سبب إلحاق ألف الندبة في الوقف هاءً - فضلاً عمَّا ذُكر - لإقفال المقطع المفتوح ؛ إذ إنَّ العرب تستقبح أن يوقف إلا بإقفال المقطع المفتوح، وقد قفل هذا المقطع (دا) بالهاء، ليكون أمارة على آخر ما لفظته الحنجره من أصواتها في صورة صوت ناقص هو الهاء^١.

قال الدكتور شاده عن صوت الهاء (ليست إلا مجرد النَّفَس بلا عارض يعرض له)^٢، والحقيقة أنَّ في صوت الهاء عارضاً يسبب نوعاً من الاحتكاك في الحنجره ؛ ولكنَّ هذا الاحتكاك قد يضعف في بعض السياقات الصوتية^٣. (ويتخذ الفم عند النطق بالهاء وضعاً يشبه الوضع الذي يتخذه عند النطق بأصوات اللين)^٤ ويسقط صوت الهاء في الدرج عن المنسوب ؛ لأنَّ خفاء صوت المدّ قد زال بما اتصل به^٥.

٤. الثاني :

يطال صوت الألف في الوقف عند التائي، وهذه الإطالة تؤدي إلى همزة بعده : قال الخليل (ت ١٧٥ هـ) (الألف اللينة إذا مدّت صارت مدّتها همزة ملتزقة بها من خلفها)^٦. وقال ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) (إذا مطلت الألف أدت إلى همزة)^٧ وعلل الاسترابادي (ت ٦٨٦ هـ) برأى مخرج الألف متسع وفيه المدّ البالغ، فإذا وقفت عليه خلّيت سبيله، ولم تضمه بشفه، ولا لسان، ولا حلق كضمّ غيره فيهوئ الصوت إذا وجد متسعاً حتّى ينقطع آخره في موضع الهمزة)^٨، وقال الدكتور غالب فاضل المطلبي : (إنَّ هذه الهمزة جاءت نتيجة للمدّ، ثمَّ القطع المفاجئ له، فنشأ من جراء القطع صوت الهمزة)^٩. ومثال ذلك قول الحجازيين الذين نزعوا بوجه عام إلى التائي : أو لاء مقابل قول التميميين الذين نزعوا إلى السرعة : أولى^{١٠}.

والذي نميل إليه ميل العربية إلى المقطع المغلق، إذ إنَّ مثل كلمة (أولى) انتهت بمقطع مفتوح : أو/لا. فمالت إلى قفله بالهمزة فأصبح مقطعاها : أو/لاء. أما لماذا قفل المقطع بالهمزة عند الوقف ؟ ذلك ليكون أمارة على أنَّ الحنجره لفظت آخر أصواتها في نهاية العملية الكلامية في صورة حبسة هي الهمزة، فضلاً عن ذلك أنَّ لصوت الهمز وظيفة أخرى هي تقوية النبر، فعلى الرغم من أنَّ النبر في المقطع (لاء) نبر طول، فإنَّ اختتامه بصوت نبري (الهمز) يمنح النبر قوة أخرى^{١١}.

إنَّ مقدار الإطالة فيما كانت لأسباب معنوية قد تكون ٠,٤٨ أو ٠,٦٤ أو ٠,٨٠ أو ٠,٩٦ من الثانية^{١٢}.

إطالة أصوات المد الطويلة. وصوتي اللين لأسباب لفظية

يطيل الناطق هذه الأصوات أكثر من طولها الطبيعي، لأسباب لفظية، منها مجاورتها لأصوات أخرى، أو تماثلها، هذا التماثل الذي يؤدي إلى إدغامها والإدغام يعني - فيما يعني - إطالة الصوت. لقد عالج علماء التجويد ذلك تحت عنوان ما يسمى بر (المدود). ولهذه المدود أنواع وتسميات، وأحكام، ومقادير. وأمثلة، ولا يقتصر البحث في هذه الظاهرة على علماء التجويد وإنما عرض آراء علماء الأصوات الذين أدلوا بدلوهم في هذا المضمار، ولا سيما المحدثون منهم. وسنوضح في العنوانات الآتية هذه الظاهرة، ومواقعها، وأسبابها، ومقدار إطالتها.

1 القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث : ٨٦

2 علم الاصوات عند سيبويه وعندنا : ٢٧

3 نفسه هامش المحقق (٢) وينظر الاصوات اللغوية، د. ابراهيم انيس : ٧١

4 الاصوات اللغوية، د. ابراهيم انيس : ٧١

5 شرح المفصل : ٣٥٨/١

6 تهذيب اللغة (مقدمة المصنف) : ٥٢/١

7 الخصائص : ٣٢٠/٢

8 شرح الشافية : ٣٨٥/٢

9 في الاصوات اللغوية : ٢١١

10 لهجة تميم واثرها في العربية الموحدة : ١٦٩

11 القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث : ٨٦-٨٧

12 المختصر في اصوات العربية : ١٨٨

١- إطالة أصوات المد الطويلة قبل صوت الهمزة في الكلمة الواحدة.

من أمثلة هذه الإطالة في الكلمات الآتية، نسيئة، وماء، وبنوء.
ويسمى هذا المدّ عند علماء التجويد (المدّ المتّصل)؛ لاتصال صوت المدّ بصوت الهمز في كلمة واحدة،
وحكمه الوجوب، لإجماع القراء على مدّه، أكثر من المدّ الطبيعيّ فقد تطول مدة النطق به إلى ٠.٦٤ أو ٠.٨٠،
أو ٠.٩٦ من الثانية^١.

وقد اختلف علماء الأصوات في سبب هذه الإطالة؛ أهى من أجل بيان صوت المدّ أم من أجل نطق
صوت الهمز الثقيل، أم من أجل الاثنين؟

يرى ابن جني (أنّ الهمزة حرف نأى منشؤه وتراخى مخرجه، فإذا أنت نطقت بهذه الحروف المصوّنة
قبله ثمّ تماديت بهن نحوه طُلن وشعن في الصوت، فوفين له وزدن في بيانه ومكانه)^٢ وبهذا تكون الإطالة -
عنده - من أجل صوت الهمز للتمكّن من نطقه.

ويرى أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ) الرأي نفسه^٣ وأوضح ابن الجزري (ت ٨٨٣ هـ) فقال: (وجه المدّ
لأجل الهمز. إنّ حرف المدّ خفيّ، والهمز صعب، فزيد في الخفيّ؛ ليتمكّن من النطق في الصعب)^٤.
أمّا مكّي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ) فيرى أنّ الإطالة من أجل أصوات المدّ. قال:
(الهمزة حرف جلد بعيد المخرج صعب اللفظ فلما لاصقت حرفاً خفياً خيف عليه أن يزداد بملاصقة الهمزة
خفاءً فيبين بالمدّ ليظهر)^٥.

ولعبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦١ هـ) قول يفهم منه أنّ الإطالة هنا من أجل الاثنين: إظهار خفاء أصوات
المدّ، ولكي لا يضعف صوت الهمز، ولا يتلاشى. قال: (إنّ حروف المدّ في غاية الخفاء والخفة، والهمزة في
غاية الظهور والثقل، فهما ضدان، فجاء المدّ مقرباً لهذه الحروف ومظهراً لخفائها، ليحصل هناك مناسبة ما
تحضّن الهمزة وتحرسها، ولولا ذلك لم يؤمن من أن يغلب خفاؤها على الهمزة فتضعف وتتلاشى)^٦.

وقال: (إنّ هذه الحروف إنّما مدّت لئلا يكون اللسان منتقلاً من الأخفّ إلى الأثقل دفعة فلا يتحقق مخرج
الهمزة فقيوت بالمدّ إرادة لبيان الهمزة وقصداً لتحقيق مخرجها وتوخي تمكّن النطق
بها)^٧ ويفهم من قوله إنّ أصوات المدّ أطيلت مدّة النطق بها لتقويتها. وتقويتها هذه تؤدي إلى بيان الهمزة،
وتحقيق مخرجها، وتمكّن النطق بها ولعلّه أراد أنّ الإطالة هنا تعطي مدة زمنية لينتهي الناطق لينطق هذا
الصوت الثقيل، الصعب التحقيق!! أمّا علماء الأصوات المحدثون فهم كالقدماء والمتأخرين في علّة هذه
الإطالة.

ترى الدكتورة ميّ فاضل الجبوري أنّ إطالة أصوات المدّ الطويلة هنا جاءت لأجل صوت الهمز،
قالت: "إنّ الهمزة هي موضع النبر^٨ في هذه الحالات، وعلى المتكلّم أن يخصّها بمزيد مما يساهم في وضوحها
وبيانها، وهو علو الصوت بها، وذلك يتمّ عن طريق حبس كمّيّة أكبر من الهواء، ثمّ فتح الوترين الصوتيين بعد
انطباقهما للهمز".

وركون القارئ إلى زيادة الصوت بصوت المدّ يشجع الرئتين على دفع مزيد من الهواء فيزداد تذبذب
الوترين الصوتيين ثمّ يطبقهما لينفجرا بعد ذلك عن همزة أوضح، فبسبب المدّ قبل الهمزة هو المساعدة على
توضيح النبر فيها)^٩.

١ القول المأثور في المدود والوقوف: ٢٧ وقواعد التجويد: ٨٣

٢ الخصائص: ١٢٧/٣

٣ ينظر جامع البيان في القراءات السبع المشهورة: ١٨٦

٤ النشر في القراءات العشر: ٢٤٦/١

٥ الكشف عن وجوه القراءات السبع: ٤٦/١

٦ الموضح في التجويد: ١٢٨

٧ نفسه: ١٢٩

٨ يرى الدكتور عبد الصبور شاهين (أنّ الهمزة... تدلنا على أمر خفي تماماً عن أعين الباحثين في دراستنا الفصحى القديمة وهو

أمر النبر، أو الضغط) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: ٢١٠

٩ القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث: ١٤٠-١٤١

ويرى سمير إبراهيم العزاوي أنَّ إطالة أصوات المدّ الطويلة قبل الهمزة الصوت القوي الشديد يمنح الموسيقى العذبة في تنوع الدرجات والوحدات الزمنية للمسموع^١، وهذا يعني علواً في أصوات المدّ يقابله هبوط صوت الهمز. ممّا يحدث إيقاعاً موسيقياً^٢.

وقد جمع الدكتور إبراهيم أنيس بين أن تكون هذه الإطالة من أجل أصوات المدّ، وصوت الهمز معاً. قال: (أمّا السرّ في هذه الإطالة... [فهو] الحرص على صوت اللين [المدّ] وطوله لئلا يتأثر بمجاورة الهمزة..؛ لأنّ الجمع بين صوت اللين [المدّ] والهمز كالجمع بين متناقضين؛ إذ إنّ الأول يستلزم أن يكون مجرى الهواء حرّاً طليقاً وإنّ تكون فتحة المزمار حين النطق به منبسطة منفرجة في حين أنّ النطق بالهمزة يستلزم انطباق فتحة المزمار انطباقاً محكماً يليه انفراجها فجأة، فإطالة صوت اللين [المدّ] مع الهمزة يعطي المتكلّم فرصة ليتمكن من الاستعداد للنطق بالهمزة التي تحتاج إلى مجهود عضليّ كبير وإلى عملية صوتيّة تباين كلّ المباينة الوضع الصوتي الذي تتطلبه أصوات المدّ [اللين])^٣.

ويبدو أنّ لهذه الإطالة أثراً أكبر في أصوات المدّ ممّا هو عليه في نطق الهمزة حتى كأنّها تضيف إلى صوت المدّ هذا صوتاً ساكناً آخر فتحول المقطع (شا) في مثل كلمة (يشاؤون) من مقطع من النوع الثاني إلى مقطع من النوع الرابع الذي ألفناه متطرفاً في حال الوقف^٤.

وعلى الرغم من تباين بعض الآراء، واتفاق بعضها، فإننا نرى أنّ الإطالة من أجل أصوات المدّ، إذ إنّ أصوات المدّ خفيفة لخلوها من الاحتكاك أو الانحياس ولم يكن فيها من صفات القوة ألاّ الجهر، وقد جاورت صوت الهمز الصوت المجهور الشديد^٥، وخوفاً من ازدياد خفاء صوت المدّ وتضائله وتلاشيه أطيل ذلك الصوت؛ لذا نبرأ كميّاً عن طريق إطالته (أنّ النبر يؤثر تأثيراً كبيراً في الجانب الصوتي بغض النظر عن الجوانب الصرفية والنحوية فهو - مثلاً - قد يزيد في طول صوت المدّ في المقطع المنبور نبراً كميّاً)^٦.

٢. إطالة أصوات المدّ الطويلة قبل صوت الهمز في كلمتين :

ومن أمثلة هذه الإطالة :

(في أنفُسِكُمْ) [البقرة : ٢٣٥].

(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) [الكوثر : ١].

(فَسَجِدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ) [البقرة : ٣٤٠].

يلاحظ أنّ صوت المدّ الطويل (الياء) في آخر كلمة (في) جاء بعده صوت الهمز في أول كلمة (أنفُسِكُمْ)، هذا في الآية الأولى، أما في الثانية فقد جاء بعد صوت المدّ الطويل (الألف) في آخر كلمة (إنا) صوت الهمز في أول كلمة (أَعْطَيْنَاكَ)، وفي الآية الثالثة جاء بعد صوت المدّ الطويل (الواو) في آخر كلمة (فَسَجِدُوا) صوت الهمز في أول كلمة (إلا).

فالقراء أطالوا أصوات المدّ الطويلة هذه، واختلفوا في مدة إطالة زمن نطقها فمنهم من أطالها (٠.٣٢) وآخرون أطالوها (٠.٦٤) وفئة ثالثة أطالنها لمدة (٠.٨٠) ورابعة مدتها (٠.٩٢) من الثانية وصلاً، أمّا عند السكت فيجب أن يكون زمن الإطالة (٠.٣٢) من الثانية، أي مد طبيعي، وحكم إطالته الجواز، لاختلاف القراء فيه^٧.

١ التغميم اللغوي في القرآن الكريم: ١١١

٢ ظاهرة المد في الأداء القرآني دراسة في المدة الزمنية (المد الفرعي بسبب الهمز) مجلة جامعة أم القرى ع ١٥ السنة ١٤١٧ هـ: ١٠٦ و ١٠٧ و ١٠٩ و ١١٢ و ١١٣ و ١١٥ و علو الصوت Loudness يعني فاعليته وسماعه على مسافة؛ لأن الحركة القوية تؤدي إلى اضطراب أكثر في الهواء؛ وبالنسبة إلى السامع مسبب اضطراب الهواء القوي حركة أكثر في طبلة الأذن، فالطاقة الكبرى تنتج سعة ذبذبة كبرى وصوت أعلى، ويختلف عن طول الصوت Duration لأن هذا يعني الوقت الذي يستغرقه نطقه ويشار إليه باسم الكمية Quantity أيضاً. دراسة الصوت اللغوي : ١٢-١٣ و ١٩٨

٣ الاصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس : ١٠٨ وينظر القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث : ١٣٩

٤ ينظر الاصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس: ١١٤

٥ ينظر مفهوم القوة والضعف في الاصوات العربية: ٥٢-٥٣

٦ في الاصوات اللغوية: ٥٤

٧ ينظر القول المأثور: ٣٧-٣٨

والواضح أنَّ من قال بالإطالة فوق الطبيعية رأى أنَّ الكلمتين بمنزلة الكلمة الواحدة. ومن قال بالمدّ الطبيعي ذهب إلى التفريق بين الظاهرة اللغوية داخل الكلمة والظاهرة اللغوية داخل الكلمتين والصواب المدّ الطبيعي. إذا فصل بين الكلمتين بسكتة^١، والإطالة إذا لم يفصل بينهما بسكتة^٢. وما يقال عن أسباب الإطالة في أصوات المدّ الطويلة إذا جاءت قبل صوت الهمز في الكلمة الواحدة. يقال هنا.

٣. إطالة أصوات المدّ الطويلة قبل الصامت المدغم :

الإدغام، اصطلاحاً : إدخال الصوت الأول في الصوت الثاني في الكلمة الواحدة أو الكلمتين أن كانا مثلين، أو بعد تماثلهما، إن كانا متجانسين أو متقاربين على أن لا يفصل بينهما صوت مدّ قصير، أي أن يكون الأول ساكناً أو بعد إسكانه، فيلفظ بهما لفظة واحدة^٣.

وعلامة الإدغام الشكلية الشدة^٤.

(وكل حرف مشدد مقام حرفين في الوزن واللفظ، والحرف الأول منهما ساكن والثاني متحرك) فإذا جاءت أصوات المدّ الطويلة قبل المدغم فهذا يعني أن بعدها ساكن، ولا يلتقي في العربية ساكنان، إذ إنَّ التقاءهما في حشو الكلمة ينتج عنه المقطع الرابع، وهو مقطع مكروه في الحشو^٥.

مثل : الحاقّة : ال/حاق/قة فالمقطع (حاق) من النوع الرابع. وفي هذه الحال يجب أن يطيل الناطق صوت المدّ الطويل ؛ لتكون هذه الإطالة بمثابة الحركة التي تمنع التقاء الساكنين^٦.

إذا كانت أصوات المدّ الطويلة قبل المدغم في كلمة سُمّي علماء الأداء القرآني هذا المدّ (المدّ اللازم الكلمي المثقل)، وإن كان في حرف من فواتح السور سموه (المد اللازم الحرفي المثقل) وحكم هذا المثقل بنوعية عندهم الوجود ؛ لذا سمي لازماً ، ومدته ٩٦ ، من الثانية^٧.

ومن أمثلة المدّ اللازم الكلمي المثقل :

(مُدْهَمَّتَانِ) [الرحمن: ٦٤]

(قَالُوا أَطِيزْنَا) [النمل: ٦٧]

ومن أمثلة المد اللازم الحرفي المثقل :

(طسم) [الشعراء: ١] إذ تتلى. طاسيميم

(الم) [البقرة: ١] : ألف لا ميم

قال ابن جني : (أمّا سبب نعمتهن ووفائهنّ وتماديهنّ إذا وقع المشدد بعدهنّ فلأنهنّ...سواكن ، وأول المثليين مع التشديد ساكن فيجفو عليهم أن يلتقي الساكنان حشواً في كلامهم فحينئذ ما ينهضون بالألف بقوة الاعتماد عليها ، فيجعلون طولها ووفاء الصوت بها عوضاً عما كان يجب لالتقاء الساكنين من تحريكها.... وذلك نحو شابة، ودابة، وهذا قصيب بكر في قصيب بكر، وقد تمودّ الثواب^٨). ويرى مكي بن أبي طالب القيسي أنه (لا يقع حرف مشدد أبداً قبله ساكن إلا بعد حرف يتأتى فيه المدّ ؛ ليقوم مقام الحركة)^٩.

أمّا عبد الوهاب القرطبي ، فقال : (إنّ الممدود نظير المتحرك ومن حيث أن زمان النطق بالحرف الممدود أطول من زمان النطق بالحرف الساكن فصار المدّ في كونه فاصلاً كالحركة)^{١٠}. ويرى الدكتور إبراهيم

١ السكتة pause اخف من الوقفة stop وأدنى منها زمناً وتكون مصحوبة بنغمة صاعدة rising tone دليلاً على عدم اتمام الكلام، وإن ما سبقها مرتبط اشد الارتباط بما بعدها علم الاصوات د. كمال بشر: ٥٥٧ و الوقف في العربية: ١٦.

٢ علم اللغة (دراسات صوتية): ٢٦٦.

٣ الكشف: ١٤٣/١.

٤ العين: ٤٩/١.

٥ الرعاية: ١١٧.

٦ ينظر في الاصوات اللغوية: ٢٤٤.

٧ ينظر الكتاب ٤٣٨ والموضح: ١٢٩ والنشر ٢٤٦/١.

٨ القول المألف: ٣٩-٤٠ و ينظر المختصر في اصوات اللغة العربية: ١٨٧.

٩ الخصائص: ١٢٨/٣.

١٠ الكشف: ٥٥/١.

١١ الموضح: ١٢٩.

أنيس أن إطالة المدّ قبل المدغم من أجل الحرص على صوت المدّ وطوله. قال: (إنّ طبيعة اللغة العربية ونسجها تستلزم قصر أصوات اللين [المد] الطويلة حين يليها صوتان ساكنان ، فحرصاً على صوت اللين [المد] وإبقاء على ما فيه من طول بولغ في طوله لئلا تصيبه تلك الظاهرة في اللهجات العربية قديمها وحديثها من ميل صوت اللين [المد] إلى القصر حين يليه صوتان ساكنان)^١.

وقال: (إنّ هناك من المقاطع ما يعادل النوع الرابع والخامس في زمن النطق بهما ، وقد تقع هذه المقاطع غير متطرفة... وذلك حين يكون بعد حرف المدّ صوتان ساكنان كما في (ضالين)... وهنا نرى أصحاب القراءات يطيلون ألف المد بحيث تعادل في زمن النطق بها صوت اللين الطويل مضافاً إليه صوت مساكين ، بل منهم من يطيلها فوق هذا القدر وعلى هذه تكون كلمة (ضالّين) مكونة من مقطعين ، هما : ضال + لين ونلاحظ أنّ المقطع الأول مكوّن من أصوات تعادل : صوت ساكن + صوت لين طويل + صوتان ساكنان. وهذا النوع من المقاطع نادر الوجود في النثر العربي ، ولا وجود له في الشعر...)^٢.

وما يقال عن إطالة صوت المدّ الطويل في مثل (ضالّين) يقال عند إطالة صوت الياء الطويل _ مثلا _ في : طاسيميم.

وقد تأتي أصوات المدّ الطويلة قبل المدغم في آخر الكلمة الموقوف عليها مثل (جانّ) [الرحمن : ٦٤]. وقد شكلت الكلمة مقطعا من النوع السادس : صوت ساكن + صوت لين طويل + صوتان ساكنان. إنّ النبر في (ضالّين) [الفاتحة ٧] يقع على المقطع (ضالّ) ، ويقع على كلمة (جانّ) كلها. والنبر لا يتم إلا بقوة المقطع. والإطالة وسيلة من وسائل قوته فيحدث أن يطيل الناطق الصوت برفع كمية أكبر من الهواء^٣. إنّ المقطع السادس مثل (جانّ) نادر في اللغة العربية، والمقطع الرابع (ضالّ) في (ضالّين) (محدود الاستعمال، ولا نراه إلا متطرفاً وفي بعض حالات الوقف)^٤، وقد قرّر منهما بعض القراء فأبدلوا بصوت المد همزة^٥ وبذلك تحول نبر الطويل إلى نبر التوتّر.

٤. إطالة أصوات المد الطويلة قبل الصامت الساكن غير المشدد :

يطيل الناطق أصوات المدّ الطويلة إذا كانت قبل صوت صامت، قطعت عنه أصوات المدّ القصيرة (الحركات) في الكلمة، وتسمى هذه الإطالة عند المجودين (المدّ اللازم الكلمي المخفف)^٦. ومنه إطالة صوت المدّ الطويل الألف الذي يؤتى به بدلاً من صوت الهمز في قوله تعالى (أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْذِّينِ) [الماعون : ١] ويسمى هذا المدّ (المدّ الخفي) أيضاً، لإخفاء الهمزة بإبدالها ألفاً^٧. ويبدو أنّ اجتماع همزتين في الكلمة يسبب ثقلاً، فحذفت الثانية فالتقى صوت المدّ القصير (الفتحة) الذي بعدها بصوت المدّ القصير (الفتحة) الذي بعد صوت الراء مشكلاً صوت المدّ الطويل وهو الألف، وقد جاء هذا الألف قبل صامت ساكن (وهو الياء) فأطيل هذا الألف كي تكون هذه الإطالة بمثابة الحركة التي تمنع من التقاء الساكنين.

أما إذا كان صوت المد قد جاء بعد ساكن في فواتح السور في حروف الأصوات التي هجاؤها ثلاثة أحرف، فإطالة صوت اللين فيها تسمى (المدّ اللازم الحرفي المخفف) وهذا المدّ حكمه الوجوب ومدة إطالته (٠.٩٦) من الثانية^٨.

ومن أمثلة المد اللازم الحرفي المخفف :

(م) في (حم) [غافر : ١]، إذ تتلى بإطالة صوت المد الطويل الياء : حاميم.

١ الاصوات اللغوية د. ابراهيم انيس: ١٠٨-١٠٩

٢ الاصوات اللغوية د. ابراهيم انيس: ١١٤

٣ القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث : ١٤١-١٤٢

٤ الاصوات اللغوية د. ابراهيم انيس: ١١٦

٥ ينظر: معجم القراءات القرآنية : ١٤/١ و ٤٧/٧ و الظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري : ١٤٥

٦ القول المألف : ٣٩-٤٠

٧ التنعيم اللغوي في القرآن الكريم : ١٢.

٨ القول المألف : ٣٩-٤٠.

(ص) في [ص : ١] وتتلّى بإطالة صوت المدّ الطويل الألف (صاد).

(ن) في [القلم : ١] وتتلّى بإطالة صوت المدّ الطويل الواو (نون).

قال مكي بن أبي طالب القيسي (والعلة في المد الساكن غير المشدّد يقع بعد حرف المدّ... كالعلة في المدّ للمشدّد ؛ لأنّ بالمدة يوصل إلى اللفظ بالسكن بعد حرف المدّ... فليس في كلام العرب ساكن يلفظ به إلاّ وقبله حرف متحرك أو مدة على حرف مد تقوم مقام الحركة^١، أي إن الإطالة منعت النقاء الساكنين، إذ إنّ المدّ نظير المتحرك... فصار المدّ في كونه فاصلاً كالحركة^٢).

وترى الدكتورة مي فاضل الجبوري : أنّ المقطع الذي وقف عليه مقطع منبور، وقد زيد في طول صوت المد فيه لتأكيد نبره^٣.

إنّ النبر في مثل هذا المدّ (المد اللازم الحرفي المخفف) يقع على الكلمة كلها (ميم، صاد، نون) وهي من مقطع واحد، وهذا المقطع المنبور يرافقه نشاط في أعضاء النطق وأولها الرئتان التي تدفع كمية كبيرة من الهواء تستنبطها نواة المقطع فتزيد في طوله، وهذا الطول الزائد عن الطول الطبيعي بمثابة صوت مدّ قصير (حركة) توصل بها الناطق إلى نطق الصوت المشكل بالسكون (قاعدة المقطع الثانية).

٥. إطالة أصوات المد الطويلة بعد الصامت الساكن سكوناً عريضاً :

يسكن الناطق الصوت عند الوقف على رؤوس الآيات، وهذا الوقف يسمى عارضاً وفي هذه الحال يطيل الناطق أصوات المدّ الطويلة قبل هذا الوقف العارض، ومن أمثله في القرآن الكريم : (لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) [البقرة : ١٢٤]. تتلّى بإطالة صوت المدّ الطويل الياء قبل النون الساكنة سكوناً عريضاً. (الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ) [ص : ٢]. تتلّى بإطالة صوت المدّ الطويل (الألف) قبل القاف الساكنة سكوناً عريضاً.

(أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ) [هود : ٢٩]. تتلّى بإطالة صوت المدّ الطويل (الواو) قبل النون الساكنة سكوناً عريضاً. وهذه الإطالة يسميها علماء التجويد (المدّ العارض)^٤. لأنّ إطالة أصوات المدّ الطويلة جاءت بعد سكون عارض، لا سكون بناء ولا سكون إعراب، والمقطع الذي يوقف عليه لا يكون إلا ثلاثياً.

ال / ظا / ل / مين

ش / قاق

تج / هـ / لون.

وحكم هذه الإطالة اختياري، وتجوز لمدة (٠.٦٤ أو ٠.٨٠ أو ٠.٩٦) من الثانية^٥.

يرى الدكتور عبد الله عبد الحميد سويد أنّ الوجه الثاني هو الأحسن (إذ فيه مراعاة للفرق بين المدّ الساكن اللازم والمدّ الساكن العارض). وفيه الأخذ بظاهرة صوتية. وهي أنّ درجة سماع الساكن ضعيفة، وإطالة صوت المدّ تتيح فرصة للنطق به بوضوح^٦.

إنّ إطالة أصوات المدّ الطويلة قامت مقام الحركة بين صوتين ساكنين^٧.

وترى الدكتورة مي فاضل الجبوري أنّ المقطع الثلاثي الذي حصلت فيه الإطالة مقطع مغلق. وفيه صوت طويل وهي من كراهات العربية التي يميل الناطق بها إلى التخلص منها بتقصير الصوت الطويل فيحرص القراء على المدّ حتى لا يقعوا في مثل هذا الميل^٨، فضلاً عن ذلك أنّ هذا المقطع موضع النبر فكان أن أطال القراء صوت المدّ الطويل كي يؤكدوا النبر فيه^٩.

١ الكشف: ٦٠/١-٦١.

٢ الموضح: ١٢٩.

٣ ينظر القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث: ١٤٩.

٤ القول المأثور: ٣٨.

٥ ينظر نفسه.

٦ علم اللغة (دراسات صوتية): ٢٧٢.

٧ ينظر الكشف: ٦٠/١-٦١ والموضح: ١٣٢ والقراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث: ١٤٩.

٨ القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث: ١٤٩.

٩ نفسه.

٦. إطالة أصوات المد الطويلة بعد صوت الهمز :

ومن أمثلته: إيمان، آدم، الأولى، وتسمى هذه الإطالة بـ(مدّ البذل) مقدارها (٠.٣٢) من الثانية^١، وهي مقدار المد الطبيعي يقول الدكتور عبد الله عبد الحميد سويد : (إن المختار عندي القصر [المدّ الطبيعي] . لان علة إطالة المدود الثلاثة التمكن من النطق بالهمزة حين تجيء بعد الألف، أو الياء، أو الواو، وهذه العلة منفية في البذل. إذ تقدمت فيه الهمزة على المد^٢، لقد أخذت أصوات المدّ الطويلة هنا حقها من الأداء وليس هناك من سبب يدعو إلى طاليتها أكثر من حقها الطبيعي. ومنه مدّ صوت المدّ الطويل (الألف) الذي يؤتى به بدلاً من همزة الوصل للفرق بين الاستفهام والخبر، ومثاله في قوله تعالى: (الآن وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ سَئَعَجِلُونَ) [يونس: ٥١] و(الآن وَقَدْ عَصَيْتَ) [يونس: ٩١]، و(اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ) [النمل: ٥٩]، ويسمى هذا المدّ مدّ الفرق^٣.

إنّ همزة الوصل عندما تسبق بهمزة الاستفهام تتحول إلى صوت الهمز (همزة قطع)، والتقاء صوتي الهمز يثقل على اللسان، لذا اسقط الصوت الثاني فالتقى صوت المدّ القصير بعده (الفتحة) بصوت المد القصير الذي بعد الصوت الأول مكوناً صوت مدّ طويل (الألف) الذي جاء بعد الهمزة.

ونلاحظ هنا أنّ الهمزة كونت نغمة مستوية هابطة، تلاها علو في صوت المد الطويل (الألف) فتحقق بذلك إيقاع موسيقي وتنغيم صوتي، وقد عدّ سمير إبراهيم العزاوي هذا النوع من الإطالة من (المدّ اللازم الكلمي)^٤.

٧. إطالة صوت المد الطويل الألف بعد حذف التنوين من آخر الاسم المنصوب :

ومن أمثلته: (وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) [الأحزاب: ٤٠] تتلى عليماً.

سمي علماء التجويد هذا المدّ مدّ العوض، ومقداره (٠.٣٢) من الثانية^٥.

لقد انتهى الاسم بصوت خفيف (الألف). ولا يعطى أكثر من حقه الطبيعي في الإطالة، لأنّه إذ زيد في إطالته. وهو متطرف انقلب إلى صوت الهمز^٦ فضلاً عن ذلك انه لا يوجد سبب لفظي لإطالته لذا نلاحظ أنه إذا أريدت إطالته، لغرض ما، ألحقه بهاء السكت.

يرى الشيخ جلال الحنفي : أنّ الأسماء المقصورة في حال تنوينها مثل : فتى (إن الألف... وجدت قبل وجود التنوين الذي كان نشوؤه هنا عن تخلف المدّ في الألف، فالمدّ هنا أصيل أصالة أدائية.... وإن الألف لا تنقلب عن تنوين، وعلى هذا كان مدّ العوض صفة لغير موصوف)^٧.

٨. إطالة صوتي اللين الياء والواو في الوقف :

يتكون صوت اللين (الياء) من موضع صوت الكسرة القصيرة، ومن هذا الموضع يتصعد أول اللسان نحو الحنك أكثر من تصعده مع الكسرة القصيرة، بحيث يسمع الخفيف الذي يخرج به اللين (الياء)، فالفرق بين الياء والكسرة هو أن موضع الياء أقرب إلى الحنك الأعلى، والفراغ بين اللسان والحنك معها أضيق منه مع الكسرة، ويترتب على هذا سماعنا بعض الحفيف مع الياء، وذلك لأنّ ضيق المجرى عن القدر المعين المحدد لأصوات المد يخرج بالصوت عن منطقته إلى منطقة الأصوات الساكنة^٨.

أمّا مع الواو فإن أقصى اللسان يزيد من ارتفاعه نحو أقصى الحنك عما كان عليه مع الضمة، بحيث يحدث الهواء في إثناء مروره نوعاً من الحفيف نتيجة أنّ الفراغ بين أقصى اللسان وأقصى الحنك (الطبق)

1 ينظر القول المألف: ٣٨

2 علم اللغة (دراسات صوتية): ٢٦٨

3 التنغيم اللغوي في القرآن الكريم: ١١٢

4 التنغيم اللغوي في القرآن الكريم: ١١٢

5 ينظر القول المألف: ٤١

6 ينظر تهذيب اللغة (مقدمة المصنف): ٥٢/١ والخصائص: ٣٢/٢ و شرح الشافية: ٢٨٥/٢

7 قواعد التجويد: ٩٤

8 الاصوات اللغوية د. ابراهيم انيس: ٣٢-٣٣

أضيق مما هو عليه مع الضمة. وهكذا يتكون صوت اللين الواو^١. وهذا كله جعل هذين الصوتين أقل قصراً من الياء والواو المدّيين وأقل وضوحاً في السمع؛ حتى عدّا من الأصوات الصامتة^٢.

اختلف القراء في زمن إطالتهما بين (٠.٣٢) و (٠.٦٤) و (٠.٩٦) من الثانية. وإطالتها (٠.٣٢) هو الأفضل وهذا المدّ يسمى مدّ اللين؛ لأنّ في النطق به ليناً وسهولة^٣. ولا يجوز إطالة صوتي اللين في غير حال الوقف. ويقع في المقطع الثلاثي في هذه الحال^٤.

إنّ الوقف على: ضَيْفٌ وَحَوْضٌ - مثلاً - يشكل مقطعاً من النوع الخامس (س ح س س) وفيه التقى صامتان من دون أن يفصل بينهما فاصل. فأطال الناطق صوت اللين، إذ إنّ فيه ليناً وسهولة كي تحجز هذه الإطالة بين الصوتين الصامتين المشكلين بالسكون. فضلاً عن أنّ نبر المقطع هذا يستدعي الإطالة.

ونلاحظ هنا أنّ الإطالة كانت من نصيب القاعدة الثانية (الياء أو الواو) صوتي اللين، وهذا ما جعل بعض القراء يخرج عن المد الطبيعي، لأنّ المدّ فيه قائم على جذوره، وعلى ذات قاعدته^٥.

والحقيقة أنّ النبر يقتضي إطالة قمة المقطع (الفتحة)، ولكنّ لو أُطيلت لالتقى ثلاثة سواكن: الألف الناشئة عن إطالة الفتحة، والواو أو الياء صوتي اللين والصامت الموقوف عليه، لذلك تحولت الإطالة إلى صوت اللين، لأنه شبيه بصوت المدّ (Semi Vowel).

إنّ إطالة صوتي اللين (الياء، الواو) قد تأتي بعد صوت الهمز وفي حال الوقف. مثل: (شيء) و (سوء). فتكون الكلمة مقطعاً واحداً طويلاً مغلقاً بصامت يحتوي على المزدوج: وهذا المقطع نادر الوجود في النثر العربي^٦، وهو موضع النبر، ولا بد من قوته وإطالة الصوت أحد وسائل القوة وذلك بدفع كمية أكبر من الهواء، لتستوجب إطالة الصوت^٧، والذي يصلح لهذه المهمة هو صوت المدّ، أو صوت اللين، لأنّ الهواء مع الأصوات الأخرى ينتهي عندما يغادر هواء الصوت الفم. أمّا الإطالة في كلمة (شيء) و (سوء) في الوصل فيعد من (مد اللين) أيضاً؛ وقد تألفت الكلمة من مقطعين.

شَيء / ء نْ .

سَوْء / ء نْ .

والنبر على المقطع الذي فيه المزدوج، وهو أقل وضوحاً في السمع (فالنبر غير واضح ويمكن توضيحه بمدّ الجزء الثاني من المزدوج الهابط... فإذا مدّ القارئ الصوت اتضح نبر المقطع وأدى بدوره إلى إيضاح نبر الهمز بعده، فعندما يقرر القارئ مدّ الصوت يكون زفيره أقوى، وبعد المدّ يقطع للهمزة فيكون انفجارها أشدّ ونبره أقوى لتدفع كمية أكبر من الهواء)^٨.

وهذا يعني أنّ في مثل هاتين الكلمتين نبرين: الأول رئيس ويقع على المقطع (شيء) و (سوء) ويسمى نبر الطول، والثاني يقع على المقطع المهموز: (ء نْ)، ويسمى نبر التوتر، فيأخذ الأول نبراً قوياً، ويأخذ الثاني نبراً ضعيفاً^٩.

وقد جاء مدّ اللين في فاتحة سورة مريم: (كهيعص) في هجاء صوت العين: (عين)؛ وبذا يكون مقطعاً من النوع الرابع يكون فيه صوت اللين (الياء) قاعدة ثالثة، ويكون نواة المقطع صوت الفتحة القصيرة. وقد وضعنا تعليل مثل هذا المدّ^{١٠}.

1 نفسه: ٣٤.

2 علم الاصوات: ٣٧١.

3 القول المألوف: ٤٢.

4 قواعد التجويد: ٩٢-٩٣.

5 نفسه: ٩٤.

6 الاصوات اللغوية د. ابراهيم انيس: ١١٤.

7 القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث: ١٤٥.

8 نفسه: ١٤٤.

9 الاصوات اللغوية: ٢٥٣.

10 تنظر الصفحة ١٠ من هذا البحث (الإطالة في حوض، وضيف).

٩. إطالة صوتي اللين الياء والواو بالإدغام :

ذكر الدكتور إبراهيم أنيس : (إذا كان بعد النون المشكّلة بالسكون ياء، أو واو أصبح كل منهما صوتاً أنفياً وشدت الواو والياء ؛ ولكنهما يصبحان في هذه الحالة أطول من أي صوت مشدد آخر)^١. والمقصود بالصوت الأنفي أن هذا الإدغام تصاحبه غنة النون و(الغنة التي في النون أشبهت المدّ واللين اللذين في الواو والياء فوجب الإدغام لهذه المشابهة)^٢، وهذا الإدغام من الإدغام الناقص أي أن صوت النون لم يفن فناءً كاملاً بل بقيت منه الغنة^٣. ومن أمثلة هذا الإدغام :

(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ) [الزلزلة : ٧].

(وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِثْلُ) [الرعد : ١١].

وهذه الغنة أمدها (٠.٦٤) من الثانية^٤.

إنّ الإدغام يجعل الكلمتين صوتياً كلمة واحدة، إذ يلفظ في الآية الأولى (مَيَعْمَل) وفي الثانية (مّوال) وعد بعض الصوتيين الصوت المدغم صوتاً طويلاً^٥، وعده بعضهم الآخر صوتين^٦.

وحقيقة هذا الإدغام : أنّ الياء، والواو اللتين أبدلا النون إلى مثلهما، وهو من التأثير المدبر الجزئي^٧، ولم يفصل بينهما فاصل، فارتفع اللسان بهما إرتفاعاً واحدة ؛ ليقل الجهد العضلي على اللسان، مشكلاً صوتاً واحداً طويلاً، وقد توزع على مقطعين :

مَيَّ / يَعْ / مَلْ.

مو / وال.

١٠. إطالة صوتي اللين (الياء والواو) قبل صوتي المد الطويلين (الياء والواو):

ومن أمثله :

(فِي يَوْمَيْنِ) [البقرة : ٢٠٣].

(أَمِنُوا وَعَمَلُوا) [آل عمران : ٥٧].

(يُحْيِيهَا) [يس : ٧٩].

مدعوون

ويكون عند تعاقب يائين أو واوين في كلمة واحدة، أو كلمتين الأول صوت لين، والثاني صوت مدّ طويل، وتحصل الإطالة في الصوت الأول بمقدار (٠.٣٢) من الثانية، وهذا المدة يسمّى مدّ التمكين^٨.

نقل الشيخ جلال الحنفي عن الشيخ مكّي الجريسي كان سبب هذه الإطالة (حذراً من الإدغام أو الإسقاط)^٩.

وللنبر أثر في هذه الإطالة إذ إنّ الضغط على المقطع المنبور نبراً رئيساً، أو نبراً طويلاً يؤدي إليها فالنبر في كلمة (في) نبر رئيس وطولي.

وفي أمنوا : إ / م / نو : النبر الرئيس على (م) ونبر الطول على (نو).

وفي يحيها : يُحْ / يي / ها : النبر الرئيس على المقطع (يي).

وفي مدعوون : مد / عو / وَ / نَ : النبر الرئيس على (و).

وفي النبر ضغط. وهذا الضغط أدى إلى إطالة المقطع المنبور^١.

1 الاصوات اللغوية د.إبراهيم أنيس: ١٠٦.

2 الرعاية: ١٢٩ و نظر الكشف: ١٦٤/١ والتحديد: ٢١.

3 الكتاب: ٤٥٤/٤ و شرح الشافية: ٢٧٤/٣ والدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٤٤٣.

4 قواعد التجويد: ١٥٨.

5 ينظر المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي: ١٠٧ وينظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد :

٤٦٨-٤٧٣.

6 ينظر دراسات في علم اصوات العربية: ٢٧-٣١.

7 التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه: ٢٢.

8 قواعد التجويد: ٨٢.

9 نفسه: ٨٣.

يتضح في هذه المواضع أنَّ النبر بأنواعه ذو أثر في إطالة أصوات المد الطويلة.

الخاتمة

بعد دراسة هذه الظاهرة الصوتية تبين ما يأتي :-

١. أنَّ الإطالة للأسباب المعنوية اقتضت على أصوات المدّ الطويلة ولم يجد الباحث إطالة في صوتي اللين لهذه الأغراض، وأنَّ هذه الإطالة لم يُعَنَّ بها أهل الأداء القرآني عناية علماء الأصوات.
٢. قد يجتمع السببان المعنوي واللفظي في إطالة بعض أصوات المدّ الطويلة، فالإطالة في صوت الألف (ما) التعجبية اجتمع فيها معنى التعجب، ويأتي بعدها صوت الهمز في (افعل) ولم يجد البحث إشارة إلى ذلك عند أهل الأداء، أو عند علماء الأصوات.
٣. دراسة أهل الأداء القرآني – أغلبها – دراسة وصفية تقريرية، في حين أنَّ أغلب علماء الأصوات. ولاسيما المحدثون كانت دراستهم هذه الظاهرة وصفية تفسيرية. فقد عللوا أسبابها ووضحوا عللها.
٤. كان للنبر دور مهم في هذه الظاهرة الصوتية فإطالة الصوت تعني نبره، وهذه الإطالة في الصوت، مع المحافظة على طول الصوت المجاور أو ضعفه يؤدي إلى الإيقاع الموسيقي والتتغيم الصوتي.
٥. صوتا اللين اقصر من أصوات المدّ الطويلة ؛ وذلك لارتفاع أقصى اللسان في صوت اللين (الواو) نحو الطبق، وارتفاع طرفه في صوت اللين (الياء) نحو الغار. وهذا الارتفاع ينتج عنه الاحتكاك، وهذا لا يحدث في أصوات المد الطويلة. وهذا ما استقر في الدرس الصوتي.
٦. صوتا اللين، وهما مدغمان اقصر مما هما عليه في عدم إدغامهما ؛ لأنَّ المدَّ يبقى معه التليين، ويذهب مع التشديد (الإدغام).
٧. صوت الهمز الحاصل بعد إطالة صوت المد الطويل الألف في الوقف جاء نتيجة ميل العربية إلى المقطع المغلق.
٨. الإتيان بصوت المدّ الطويل (الألف) بعد همزة الوصل للفرق بين أسلوب الاستفهام، والخبر، كان لتحول همزة الوصل إلى همزة قطع، لأنها – في هذه الحال – وقعت في وسط الكلمة، ثم سقطها، لاجتماع همزتين في الكلمة الواحدة، ثم اتحاد صوت المد القصير (الحركة) التي بعدها، بصوت المد القصير (الحركة) التي قبلها. فكونا صوت الألف. وقد جاء بعد الهمز، فأطيل على وفق قاعدة (مد البدل). وفسر البحث تكون الألف في (أرأيت) بدلا من (أرأيت) بالعلة نفسها، غير أنَّ الألف هنا جاء بعد ساكن، وإطالته على وفق قاعدة (المد الكلمي المخفف).
٩. إنَّ مدَّ أصوات المدّ الطويلة بعد الصوت الصامت الهمز، جاء لتقوية صوت المدّ للحفاظ عليه من السقوط، أو القصر، فهو صوت خفي ضعيف يخلو من الانحباس، أو الاحتكاك. وقد جاور صوتاً شديداً قوياً هو (الهمز) فقوي (صوت المد) بزيادة الإطالة فيه، ليصمد أمام مجاوره.
١٠. إنَّ إطالة أصوات المدّ الطويلة بعد الإدغام كان نتيجة للتخلص من التقاء ثلاثة سواكن، إذ إنَّ التقاء صوت المدّ المدغم ينتج عنه مقطع من النوع الرابع. أو السادس في الوقف. والأول محدود الاستعمال في الوصل والثاني نادر حتى في الوقف. فالإطالة الحاصلة في أصوات المدّ الطويلة جاءت بمثابة الحركة التي فصلت بين صوت المدّ (وهي أصوات قطعت عنها الحركة) والصامت الساكن الذي يليه، وهناك وسيلة أخرى للتخلص من هذين المقطعين. وهي همز صوت المدّ الطويل (الألف).
١١. تميل العربية إلى المقاطع الساكنة، ولاسيما في الوقف إلا أنَّ المقطع المنبور نتيجة لإطالة أصوات المدّ الطويلة في معنى (التذكر) يبقى مفتوحاً ؛ لأنَّ قفله معناه القطع، وهذا عكس التذكر، وهو تأثير الدلالة في القاعدة الصوتية.
١٢. إقفال المقطع في (أولى) وتحويلها إلى (أولاء)، جاء لتقوية النبر وتأكيد في المقطع الأخير، وسبب قفله بالهمز أنَّ هذا الصوت آخر ما تلفظه الحنجرة على شكل حبسة قوية.

مصادر البحث ومراجعته

- القرآن الكريم.
- أسرار العربية، كمال الدين أبو البركات عبدالرحمن محمد بن سعيد الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق بركات يوسف هبود، بيروت ١٩٩٩.
- الأصوات اللغوية، الدكتور إبراهيم أنيس، القاهرة ١٩٦١.
- الأصوات اللغوية، الدكتور عبدالقادر عبدالجليل، عمان - الأردن ١٩٩٨.
- التحديد في الإلتقان والتجويد، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤ هـ)، تحقيق الدكتور غانم قدوري حمد، بغداد ١٩٨٨م.
- التشكيل الصوتي في اللغة العربية، الدكتور سلمان حسن العاني، ترجمة ياسر الملاح، جدة ١٩٨٣م.
- التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، الطيب اليكوش، تونس ١٩٧٣م.
- التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه. الدكتور رمضان عبدالنواب، القاهرة والرياض ١٩٨٣م.
- التطور النحوي للغة العربية، برجشتراسر (ت ١٩٣٢م) أخرجه الدكتور رمضان عبدالنواب، القاهرة والرياض ١٩٨٢م.
- التنعيم اللغوي في القرآن الكريم، سمير إبراهيم العزاوي، عمان - الأردن، ٢٠٠٠م.
- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن منصور الأزهرى (ت ٣٧٠ هـ)، تحقيق عبدالسلام محمد هارون وآخرين، القاهرة ١٩٦٤-١٩٦٦م.
- جامع البيان في القراءات السبع المشهورة، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤ هـ)، تحقيق محمد صدوق الجزائري، بيروت ٢٠٠٥م.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ)، تحقيق محمد علي النجار، بغداد ١٩٩٠م.
- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، الدكتور غانم قدوري الحمد، بغداد ١٩٨٦م.
- دراسات في علم أصوات اللغة، الدكتور داود عبده، الكويت د.ت.
- دراسة الصوت اللغوي، الدكتور أحمد مختار عمر، القاهرة ١٩٧٦م.
- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، مكّي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ) اعتنى به جمال محمد شرف وعبدالله علوان، القاهرة ٢٠٠٢م.
- شرح شافية ابن الحاجب (ت ٦٤٦ هـ)، رضي الدين محمد بن الحسن الاسترأبادي (ت ٦٨٦ هـ)، تحقيق محمد نور الحسن وآخرين، بيروت د.ت.
- شرح المفصل للزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي الموصلي (ت ٦٤٣ هـ). قدم له ووضع حواشيه وفهارسه الدكتور أميل بديع يعقوب، بيروت ٢٠٠١م.
- ظاهرة المد في الأداء القرآني دراسة في المد الزمنية (المد الفرعي بسبب الهمزة)، يحيى مبارك، مجلة جامعة أم القرى مج ١٥ السنة ١٤١٧هـ.
- الظواهر اللغوية في التراث النحوي الدكتور علي أبو المكارم، القاهرة ٢٠٠٧م.
- الظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري، الدكتور صاحب أبو جناح، البصرة ١٩٨٥م.
- علم الأصوات، الدكتور كمال بشر، القاهرة ٢٠٠٠م.
- علم الأصوات عند سيبويه وعندنا، الدكتور ارتور شاده، إخراج وتعليق صبيح التميمي، صنعاء ٢٠٠٠م.
- علم اللغة، الدكتور عبدالله علي مصطفى، والدكتور عبدالله الحميد سويد، مراجعة الدكتور سعدون السويح، طرابلس - ليبيا ١٩٩٣م.
- في الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المدّ العربية، الدكتور غالب فاضل المطلبي، بغداد ١٩٨٤م.
- القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث، الدكتورة مي فاضل الجبوري، بغداد ٢٠٠٠م.
- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، الدكتور عبدالصبور شاهين، القاهرة ٢٠٠٦م.
- قواعد التجويد والإلقاء الصوتي، الشيخ جلال الحنفي، بغداد ١٩٨٧م.

- القول المألوف في المدود والوقوف ومخارج وصفات الحروف، احمد محمود الشافعي، بيروت ٢٠٠٠م.
- الكتاب كتاب سيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ) تحقيق عبدالسلام محمد هارون، القاهرة ١٩٨٢ - ١٩٨٨م.
- الكشف عن وجود القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ)، تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان، بيروت ١٩٨١م.
- لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، غالب فاضل المطليبي، بغداد ١٩٧٨م.
- المختصر في أصوات اللغة العربية دراسة نظرية وتطبيقية، الأستاذ الدكتور محمد حسن حسن جبل، القاهرة ٢٠٠٦م.
- المدارس الصوتية عند العرب النشأة والتطور، الدكتور علاء جبر محمد، بيروت ٢٠٠٦م.
- معجم القراءات القرآنية، الدكتور احمد مختار عمر والدكتور عبدالعال سالم مكرم، طهران ١٩٩٢م.
- مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية، الدكتور محمد يحيى سالم الجبوري، بيروت ٢٠٠٦م.
- من أعلام الدرس الصوتي في القرن الخامس الهجري، عبدالوهاب بن محمد القرطبي (٤٠٣-٤٦٢هـ)، حقي عبدالرزاق الصالحي، مجلة المورد، مج ٣٣، ٣٤، ٢٠٠٦م.
- المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي، الدكتور عبدالصبور شاهين، بيروت ١٩٨٠م.
- الموضح في التجويد، عبدالوهاب بن محمد القرطبي (ت ٤٦٢هـ)، تحقيق الدكتور غانم قدوري الحمد، بغداد ١٩٨٧م.
- النشر في القراءات العشر، أبو الخير محمد بن محمد الشهير بابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، قدم له الأستاذ علي محمد الضباع، بيروت ٢٠٠٢م.
- الوقف في العربية، الدكتور محمد خليل مراد الحربي، بيروت ٢٠٠٦م.

The alongment of vowels longer and two semi-vowels in koranic performance and phonetics

Dr. saiwan khudhair khalaf

University of Basra – collage education ,Arabic department

Abstract

The alongment becomes in the long semi-vowel for many oral and meaningful reasons:-

The important meaningful reasons are :-

Glorification ,exaggeration, remembrance, delegation and deliberation

The oral reasons are:-

That they happen before and after the glottal stop(?) consonant , so they happen before the assimilation sound ,and after the consonant sound that it is not original , and in silent consonant sound without assimilation.

The vowel(a) is longer after the omitted of nomination from the last subjunctive noun of stop.

Also the two semi-vowels are longer in stop and with their assimilation in silent sound(n).

So with this assimilation will be kind of nasality and before the two longer vowels(w, j)

The oral and meaningful reasons are meeting for nose longment in exclamation(maa),that it comes before the glottal stop sound in(est) superlative degrees.